

فلسفة الحرف في شعر الجزيري



◆ محمد أمين الدوسكي / دهوك

اذن فالحروف شيء آخر في عالم التصوف ينظر اليها بعين أخرى. وهي كما ذكرها الحنفي مصنفاً ايها في معجمه نورانية وظلمانية، فالظلمانية هي حروف الحق يكلم بها من يشاء، والظلمانية هي حروف الخلق، ثم فرقوا بين منقوطاتها ومهملاتها، وقالوا فيها أقوالاً مختلفة. قال الجيلي (المنقوطة عبارة عن الاعياد الثابتة في العلم الإلهي، والمهملة نوعان، مهملة تتعلق بالحروف ولا تتعلق بها، وهي خمسة (الألف والذال والراء والواو واللام) فالألف إشارة إلى مقتضيات كمال الله وهي خمسة (الذات والحياة والعلم والقدرة والإرادة) إذ لا سبيل لوجود هذه الأربعة إلا للذات، فلا سبيل لكمال الذات إلا بها، والحروف المهملة تتعلق بها وهي تسعة (همزة/ هاء/ حاء/ طاء/ كاف/ ميم/ سين/ صاد/ عين) والإشارة بها إلى الإنسان الكامل لجمعه بين الصفات الخمسة الإلهية، والأربعة الخلقية، وهي عناصر الطبيعية الأربعة وما يتولد منها (التراب/الماء/الهواء/النار) فكانت أحرف

من البديهي أن الحرف، سواء كان حرفاً بذاته منفصلاً أو متصلاً، هو أصغر أجزاء العبارة وكذلك الكلمة، كما جاء في ألفية ابن مالك:

كلامنا لفظ مفيد: كاستقم واسم

وفعل، ثم، حرف الكلم 1

واحد كلمة، والقول عم

وكلمة بها كلام قد يؤم 2

وقد عامله أرباب النحو في بناء الكلام معاملة الطوب عند البنائين، وظل هذا التعامل سائداً حتى ظهر المتصوفة فعاملوه معاملة مختلفة، وبرز في مصطلحاتهم بمعنى آخر، رموز وإشارات وأسرار عجيبة، وله فضاءات واسعة وعالمه الرحب الفسيح.

كان الحرف عند أرباب النحو صوتاً معيناً يشترك مع (أصوات/حروف) أخرى ليعبر به عن فعل أو اسم أو ليدل به على شيء مقصود، لكنه ظهر عند المتصوفة بما لا يمكن وصفه من صفات ذاتية وقيم جمالية وروحية ولطائف، فصارت له فلسفته الخاصة القائمة بذاتها المتسامية.

فلسفة الحرف في شعر الجزيري

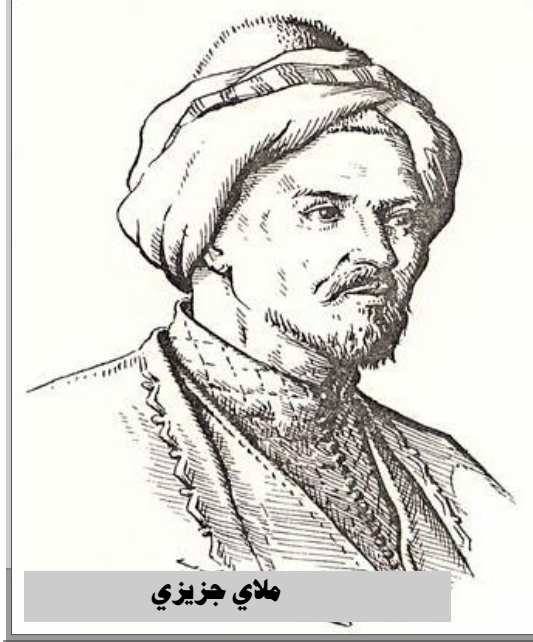
مرتين ضمن الحروف المهملة التي تتعلق بها الحروف وتتعلق بها ليكتمل نصابها، وهذا هو دأب الصوفية وطريقتها في التعامل مع الأشياء. وأما بصدد فلسفة وجوده فذاته تتصف بالقدم حسب التعبير الصوفي وما أشار إليه كبار المتصوفة فالصالح (المتوفى سنة 309 هـ) يثبت القدم لذاته فيقول (إن قلت متى فقد سبق الوقت كونه، وإن قلت هو فالهاء والواو خلقه، وإن قلت أين فهو خالق المكان، فالحروف آياته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه عن خلقه). iii

وهنا يثبت القدم الذاتي الذي لا يحتاج لوجود غيره، وكذلك بالقدم الزماني، وهو ما لا يكون وجوده مسبقاً بالعدم، وقد استدل عليه بالحروف التي اعتبرها آياته. وقد ذهب البعض الى ان الحروف حق لا خلق، لأن الخلق يدخل تحت كلمة (كن) الا عند اليجاد العيني، أي الا في حال نزولها في منزلة الحق الى منزلة الخلق للدلالة على وجود القديم. ففي هذا المقام تندرج الحروف في مظنة الحدوث لما تقتضي ذاتها في اسناد الى وجود الحادث نفسه الى القديم، والحروف العاليات كما في المصطلح الصوفي هي الشؤون الذاتية الكائنة في غيب الغيوب، كالشجرة في النواة. فالقدم الذاتي هو الصمد الذي تصمد إليه الأشياء. ويرى الجزيري أن الوجود في ذاته لا يتعدى عن كونه حروف وكلمات ينظمها ويحدد مسارها واتجاهاتها ومقاصدها ومدلولاتها إعراب منضبط وفق قواعد اللغة:

عالمه چيه؟ ئعراب و حوروف وكهلماتن
ئهو نقطهده نهفسا حوه و مهعنايم ئهن

ما الوجود؟ سوى إعراب وحروف وكلمات
هو النقطة بذاتها وأنا معناها

فالوجود هو الوجود الحادث الذي يدخل



الإنسان الكامل غير منقوطة لأن الله خلق ابن آدم على صورته كما ورد في صحيح مسلم (بَابِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَقْبَسَتْهُمْ مِثْلُ أَقْبَسَةِ الطَّيْرِ) حديث طويل نذكر منه (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا) وجاء في صحيح مسلم أيضاً (بَابِ النَّهْيِ عَنِ ضَرْبِ الْوَجْهِ) ما نصه (النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ).

ومن الملفت للنظر أن الحرف التاسع لم يذكره ابن عطاء الله السكندري لأنه لم يكن موجوداً أصلاً في جملة الحروف الثمانية والعشرين العربية، وعلى ما يبدو أنه قد أشار بها إلى حقيقة الصلة ومقتضياتها بين الرب والمربوب، والكامنة في جوهر الحديث القدسي (كنت كنزاً مخفياً فأحسبت أن أعرف، فخلقت الخلق فبني عرفوني/حديث موضوع لا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف) 3 .. ولا استبعد أن يكون قد أدرج الألف المتكرر في كلا الإسمين (الله) و(الإنسان)

تحت كلمة كن وأما الحرف الذي يقصده فهو الوحدة الواحدة التي تتكون منها الكلمة التي وردت هنا، أي المادة التي يتكون منها الوجود الحادث والإعراب هو النظام الذي وضعه الحق تعالى وأقام عليه النظام وثبته وأتقنه.

وأما النقطة فهي أصغر شيء في الوحدة (الحرف) والتي يتكون منها أي أنها بمنزلة الذرة من كل جزيئة، فالحرف الواحد الواحد بطبيعته يتكون من عدة نقاط وحتى أن أطواله تقاس بها كما هو معروف لدى الخطاطين، وحين يقول الجزيري (هو النقطة بذاتها) فهو يشير إلى ذات الحق ويعتبرها هي الذات التي بدأت منها الموجودات، والضمير (هو) والذي عدّه بعض المتصوفة من ضمن الأسماء الحسنى وأدخلوه في أوراذهم وأذكارهم لا يدل إلا على الله سبحانه وتعالى، وقد جعل الوجود هو النقطة أيضاً التي هي تكلمة المعنى وتبيان المقصود حتى يتضح للجميع أن الحق هو الواجد الذي يتصف بالقدم الذاتي والقدم الزماني أي أن وجود ذاته لا يحتاج إلى وجود غيره وليست مسبوقاً بالعدم كما يوصف به الحادث.

في صدر البيت يعتبر الجزيري أن الوجود حادث وفي عجز البيت يعتبره هو النقطة التي تمثل الذات الإلهية في المعادلة أي القديم وذلك لدلالة الوجود الحادث على القديم (النقطة) لأن الوجود هو في ذاته وجودين: وجود قديم يمثل النقطة ووجود حادث يمثل الحروف والكلمات التي تم التعبير بها عن الوجود المتناسق (المعرب) وكذلك الحال مع النقطة فهي بدورها تمثل أيضاً الوجود الأول (القديم) الخالق للوجود الثاني (الحادث) وهذه إشارة إلى التجلي الأول لما تجلى لذاته في الأزل والتجلي الثاني لما تجلى لخلقه بعد الخلق والإيجاد.

هناك ما ينبغي الإشارة إليه وهو مبدأ الإرادة من وراء التنزل من التجلي الأول إلى التجلي

الثاني فالصوفية تعبر عن ذلك بمضمون الحديث القدسي (كنت كنزاً مخفياً... الخ) الذي بنت عليه فلسفة العشق الإلهي، باعتبار أن المحبة هي سبب الوجود، لأن الحق عشق ذاته عند تجليه لها فأحب أن يعيش من قبل غيره حسب المعنى المنصوي في كلمة (أن أعرف) ولما خلق الخلق تحقق ذلك ولذلك نجد أن الجزيري يقول (وأنا معناها) لأن كل ذلك العشق يتجسد في الإنسانية التي عبر عنها ب (أنا) بلفظها المتجرد عن الأنية المعروفة في المصطلح الصوفي.

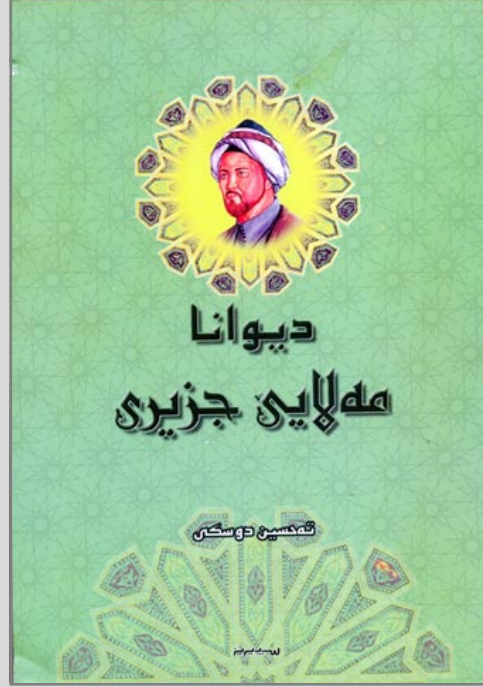
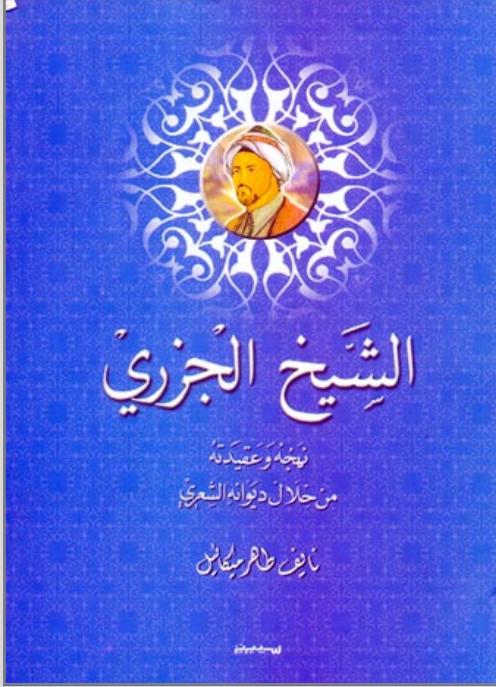
والنقطة التي نحن بصددنا قد أشار إليها الشاعر في مكان آخر واعتبرها هي الوحدة الأولى التي نتجت عنها بقية الوحدات الوجودية سواء كان وجوداً صرفاً أم علوماً تجريدياً، وذلك باعتبار مبدأ تواصل الترابط بين الاثنين لأن العلم الرباني القديم مع ذاته هو الذي خلق الوجود بنوره والنقطة التي عبر عنها بالذات الإلهية هي الوجود الأول أو مبدأ الخليفة فبامتدادها وتواصل التغيير في اتجاهاتها تتولد العلوم لأن الحرف هو وحدة من وحدات الوجود أو لبنة من لبناتها.

يقول الجزيري:

نوقطه و علم وسه وادئ حهرف و نهقشئ عاله مئ
سه رددن مه عناية كئ نهصلئ سه وادئ نوقطه بئو

**النقطة والعلم وكتابة الحروف وصور العالم
تنتهي إلى معنى واحد وهو أن النقطة أصل
الكتابة**

إن فكل ما في الوجود سواء كان وجوداً بحتاً أو علوماً تجريدية تنتهي إلى النقطة، مصدر الوجود الحادث وحقيقته، وأما العلة في كل ذلك هي العشق كما بينا، لكن الشاعر لم يقف عند هذا الحد لأن مقتضيات الفكر الذي بنى عليه فلسفته تتطلب النزول من هذه الازدواجية



والقامات والمحدود التي كالدرر فمن الحروف الجملة الكثيرة خلق الحق نونا خيالية

وهذا يعني أن الجمال بحاجة إلى تجسيد، كي يرى ويعشق، لذلك خلق الله من الحروف الكثيرة والتي تولدت في النقطة نوناً خيالياً، أي لا يمكن أن يتخيله عقول البشر، باعتبار الجمال الحادث الذي أودعه الحق في الجمال الأنثوي، ولو امعنا النظر في النون لوجدناه أيضاً تمثل وجوداً لكنه مستقل بكل اتجاهاته عن الوجود العام، وكما أنه عبر بالوجود الحادث بالنقطة والحروف، فقد عبر عن الوجود الجمالي بالنقطة والقوس المتمثل بالنون، ففي الحقيقة إن النقطة هي نفس النقطة والنون هو حرف من تلك الحروف المشار إليها، لكنه حصر الجمال واعتبره الوجود الجمالي في مطلق الوجود). وبما أن الشاعر ينحو منحى الاهتياميين في

ومسيرة التغييرات التي حصلت في (النقطة) وهي في طريقها إلى تحقيق الوجود (المرأة) الذي أحب الحق أن يعرف به كما في الحديث القدسي المذكور فأخذة الفكرة منحى آخر واقتضت معاني أخرى واتجاهات مغايرة شملت حتى غالبية الفكر الصوفي متمثلاً بمجلى الحق، أي المرأة التي يجد فيها الحق ذاته بكل اوصافها، فإن كانت الصوفية تعتبر كل ما في هذا الوجود مجلى للحق ومرآة لذاته، فإن الجزيري بخلافهم يجد مجلى الحق في الجمال الأنثوي حصراً، والعشق هو العلة في كل ذلك.

حيث يعبر عن ذلك بقوله:

ما تئنه ديتن حوسن وسور
بئ بهژن بالايين ژ دور
كاتب ژ وان حهرفين دپور
نوونهك خه يالى بهصمه دا

هل ترى الجمال والملاحه

العشق الإلهي فهو يرى أن الحق تعالى أجزل الجمال في ذوات الوجوه الدرية الكثيرة الدلال والرموز والأسرار والغنج، وبالغ فيه الشاعر وزينه بكثير من الإضافات التي تزيد الجمال جمالاً وتزيد في ولة العشاق، الذين يتجلى لهم الحق في الجمال الانثوي الذي يسلب القلوب بنوز التجلي.

يقول الجزيري:

د هـر شاهدهك دا ديم ژ دور

پور نازدارن رهمز و سور

خه ططی غوباری نوقطه پور

کاتب ژ بالا نه سخته دا

**في كل شاهدٍ دري الوجه
كثير دلال الرمز والسر
نسخه الخالق في العلا
بخط غباري كثير النقط**

ولكن هذه الوحدات الجمالية التي زينت بها قدود هذا الجنس اللطيف لم تكن وحدات عادية يمكن تصورها قياساً إلى نظائرها في هذا الوجود، فالخلية البشرية التي تمثل اللبنة التي يتركب منها جسم الإنسان لم تكن تحمل سوى سره في هذا الوجود من حيث الكينونة، ومن الممكن وزنها بمعايير مادية بحتة وإدراك محتواها وقياس أبعادها ومعرفة تفاعلاتها الداخلية والخارجية إلا أن وحدة الجمال تختلف تماماً باعتبارها لا تخضع للمعايير والمقاييس المادية، وإنما توزن بميزان الذوق، وبأدوات تجريدية نسبية، ولكن الحسن يبقى بدون ميزان ومقاييس ثابتة أبداً.

فالوحدات (الحروف) جزئيات جميلة للغاية، لكونها محشوة بالنور، ومن الواضح أن الجمال الذي ينبثق منه النور وينتشر لا يمكن وصفه لأنه يبهر العقول ويسلب القلوب ويجذب الأرواح ويأسرها، يقول الجزيري:

حرفين كشاندی کابنی
نورا د رووح و قالبی
یهک یهک ب ئسمی واهبی
نعراب و جهزم و نوقطه دا

**الحروف التي خطها الكاتب
إنما النور في روحها وقالبها
وقد أعربت وجزمت ونقطت
واحدة فواحدة باسم الراهب**

إنها حروف أي وحدات جمال لكنها محشوة بالنور روحاً وجسداً، أي إنها ذات أرواح، بمعنى أنها نوع من الأحياء، لكن الأحياء التي هي الجمال بذاته وجودها جمال وحياتها جمال. فيما اعتقد أن الجزيري يعتبر الحروف من ذوات الأرواح، أو يعتقد أنها جزء من كل ذي روح، وجماد، ومقصوده هو الإنسان، ومن الإنسان الأنثى، لأنه من أصحاب التصوف الاهتمامي. هذا الجمال من صنع البديع الباري، لذا كان تأثيره في قاصدي الجمال ومحبيه كبيراً، حيث جعل من يبصره يقف أمامه منبهراً مشغولاً به لا يصدر منه إلا التآوه، لأنه جمال ليس ككل الجمال، وقد شبّه الجزيري هذا الجمال بالوجود الذي كان في اللوح المحفوظ ب (له وحى سادته) الذي لم يكتب فيه :

کاتب نفیسین ئەو حور ووف
هەر طالبهک پی بوو ووقوف
هاتن ژ دل سه د ئاه وئووف
سه رخه ط ل له وحی سادهدا

**كتب الكاتب تلك الحروف
فوقف عندها كل طالبٍ وتحير
فتأوه الكثير من قلوبهم وتأفروا
فالكاتب قد بدأ الكتابة في اللوحة البيضاء**

فلسفة الحرف في شعر الجزيري

الأطر الإجمالية ليس من الحصافة في شيء، وان فيلسوفاً كالجزيري لم يكن ليجنح إلى نهج كهذا لا ينتهجه إلا الضعفاء من أصحاب هذه المهنة الذين يستهلكون الشعر والفكر والثقافة، لذلك نجده ينزل من العموم إلى الخصوص ويدخل في التفاصيل ليلقي الضوء على وحدات الجمال ويجسدها في أعضاء الأنثى عضواً عضواً. اسمعه يقول:

عهرعرا قامت ئەلف نهى شهككهرأ شؤخ و
شهپال
ناركا سيمين تهن و خوسره و وزهررين
كوله هي

ابتها العرعة الألفية العقد والقصبية القامة الرقية، الفضية الجسد، الملكة الذهبية التاج

فشبهه قامة الحبيبة بالآلف لما يحمل من صفات الجمال، كالانتصاب والوقار والرشاقة والطراوة والتبختر، ولما كان الألف أول حروف الهجاء والفريد من حيث الشكل إذ لا مثيل له بين بقية الأحرف.

كما ركز الجزيري في هذا المضمون أي في فلسفة الجمال والحب على وجه الحبيبة الإنسية وجعله مجمع معظم الوحدات الجمالية باعتباره يضم الأعضاء الحسية والعلامات الفارقة التمييزية، إذ فيه الفم الذي يشبهه بحرف الميم والعينين بحرف الصاد وقوسا الحاجب بحرف النون والصدغ بحرف اللام، وشعر الناصية المتدلي على الوجه بحرف الدال، والخالات بالنقط، ومسحات الجمال بالخطوط، وهكذا كأن الجزيري يبتغي من تشبيهاته صورة الجمال الحادث في وجه الأنثى ويجعل من وجهها في شعره لوحة فنية ربانية تزدهم بآيات الحسن والجمال الذي لا نظير له بين بقية الخلق.
يقول:

ويمكن اعتبار اللوحة البيضاء أي غير المكتوب فيه قامة المرأة ، فالخالق سبحانه وزع عليها وحدات الجمال وزين بها اعضاءها. وهذا المعنى يرادف ما اشار اليه في قوله:

نهققاشي ئەزهل ئسمى جهمالي كو نقيسي
ههرفين ته موجه سسه م ژ سورئ تازه
رهشاندن

ان نقاش الازل لما كتب اسم الجمال نثر جيداً حروفك مجسمة من الجمال الجذاب

ان الخالق لما كتب اسماء الجمال الذي هو اسم من اسمائه رش اعضاءها بالجمال الجذاب وجسم ذلك الجمال بصورة رائعة، ثم جعل له ابعاداً، وهذا من قبيل المبالغة. ولم يكن هذا الوصف مألوفاً في الشعر الكردي ، حيث لم اجد وصفاً مماثلاً عند الشعراء الاخرين، وهو ما يؤكد ابداع الجزيري.

فالشاعر يقوم بتشبيهه أعضاء المرأة واحداً فواحداً، بما يمثالها أو يقربها من حيث الشكل والجمال والهيئة من الحروف الأبجدية، ويبين دور الخطوط العربية في تجسيم وتزيين تلك الحروف من حيث الانفراد والتسلسل الذي يقتضيه الشكل الخارجي للكلمة، ومن ثم تسلسل الكلمات في العبارة ليتضح المعنى وتكشف مقاصده:
رهيجاني وديواني وههم ثولت وموسه لسهل
يهك يهك وه ههزار رهنك ژحوسني
نهققاشاندين

نقش الخط الربحاني والديواني وكذلك الثلث والتسلسل

-واعجابه- بالحسن بآلاف الألوان والأشكال

لكنه رغم هذا التسلسل في البيان لم يدع الأمر في إطاره الإجمالي لأنه بقاء الأمور في

جبهته وديمي ژ قودرهت لى نقيسى
حرف حرف
كاكولان تاتال سهر حرفان كشاندى لام
لام

**الجبهة والوجه اللذين قد كتب عليهما من
القدرة الربانية حرفاً حرفاً
قد ارسل شعر الناصية المتفرق طاقة
على الحروف لآماً لآماً**

ان القدرة الربانية قد حصرت وحدات الجمال
وحدة وحدة في جبهة الحبيبة ووجهها وارسل
شعر الناصية المتفرق على الجبهة والوجه طاقات
موزعة على تلك الوحدات الجمالية والتفت
رؤوسها لتتخذ شكل حرف اللام (ل). وهذه
التشبيهات لطالما عمدَ الجزيري على ترسيخها
في ذهن المتلقي ليكمل بها فلسفته حول الجمال
والحب، عن طريق زيادة الانتشاء من الخمرة
الأزلية. لأن المرأة هي المجلى الذي يتجلى في
جمالها الحق تعالى ويعبد.

وفي ديوانه الكثير من الشواهد حول
الموضوع فيقول:

سوجده بهر نون ودالان
من طه و افا زولف وخالان
تو بهسه ژ صاحب جهمالان
دابچين لى عومرهيه

**يكفني السجود في ذوات الجمال
السجدة امام النونات والدالات
والطواف حول الزلف والخالات
فلنذهب اليها لتأدية العمرة**

ان غايته في ذوات الجمال لم تكن لتتعدى
سوى السجدة امام عيونها الجميلة والتي تشبه
في جمالها جمال حرف النون الذي يخطه خالق

الخطوط امام عينيها الجميلتين والتين تشبهان
في جمالهما جمال حرف النون الذي يخطه خالق
الخطوط وطاقات شعر الناصية التي اصاب
نهاياتها الانعكاف فغدت جمالية كحرف الدال،
والطواف بروحه الهائمة حول الاصداع والخالات
المنثورة على صفحتي خديها، ففي هذا الجمال
يتجلى الحق، لذلك يحق له ان يعبد فيه، فيدعو
تابعيه الى الرحيل بقلوبهم الى نبع هذا الجمال
الاخاذ لتأدية مناسك العمرة، وقد صرح في
البداية بأنه يكفيه من العبادة أن يؤدي سجدة
واحدة امام ذوات الجمال، وذلك لأنهن مجالس
الحق تعالى.

في المفهوم الصوفي العام يجوز عبادة الحق
في مجالسه المختلفة والمتعددة، إلا ان الجزيري
الفيلسوف يحصرها - وحسب نظريته - في
الجمال الانثوي، وأنه بهذا الوصف العجيب
والاسلوب البديع يزيد في عظمة المجلى الذي هو
الجمال الانسي الانثوي بغية زيادة تأثيره على
الخلق لتحقيق الجلال.

من البديهي ان الجمل الانسي وجلاله لا
يتعديان حدود النسبية، لأنه على الاطلاق لا يكون
الا في ذات الحق ولا يمكن شهودهم الا في الله
وحده، فقد ذهب الكثير من المتصوفة لما عرفوا
الجمال بان اوصاف الحق العلى وأسمائه
الحسنى واستيفاء اوصافه وأسمائه للخلق
محال، وهذا ما يدركه الجزيري ايضا الا انه لما
يزيد في وصف المجالي لا يقصد به الإرتياب
مقتضيات السلوك لتحقيق الفناء بدرجاته لأنه
بتحقيق الفناء بدرجاته يتم بلوغ الدرجات العلى
أو أقصى ما يمكن ان يتوصل اليه الانسان وهو
في طريق تحقيق الكمال الذي هو غاية معظم
الأديان السماوية، لاسيما الدين الاسلامي الذي
يؤمن بتكامل الانسان، ولكن ليس في الدار الدنيا
وانما في الدار الآخرة، ومهما يكن فان الجزيري
يريد ان يحقق ولو نسبياً تلك الغاية السامية

فلسفة الحرف في شعر الجزيري

وأشراق نورها لكن لا بد للشمس من سحاب
وللحساء من نقاب ولله در القائل

وما أحتجبت إلا برفع حجابها ...
ومن عجب أن الظهور تستر

وقال آخر
لقد ظهرت فلا تخفي على أحد ...
إلا على أكمه لا يبصر القمر

لكن بطنت بما أظهرت محتجبا ... وكيف
يعرف من بالعزة أستترا)). وفي ص 176 يقول ابن
عجيبة ((والكلام في المحبة طويل ذكر الشيخ في
لطائف المنن منه جملة صالحة وكلام الشيخ
رضي الله عنه من باب التدلي فالمعرفة أعلى
المقامات وقبلها الفناء وقيل للفناء المحبة أي أولها
فاول ما يقذف الله في قلب عبده الذي يريد أن
يصطفيه لحضرتة ويعرفه به محبته فلا يزال يلهج
بذكره ويتعب جوارحه في خدمته ويتعطش إلى
معرفة فلم يزل يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه
الحق فإذا أحبه أفناه عن نفسه وغيبه عن حسه
فكان سمعه وبصره ويده وجملته ثم رده إليه
وأبقاه به فعرفه في كل شيء ورآه قائماً بكل
شيء ظاهراً في كل شيء والله تعالى أعلم ولهذا
الذي ذكره الشيخ علامات تدل على تحقيق تلك
المقامات فمن وجدها في نفسه كانت دعواه لتلك
المقامات أو بعضها صحيحة ومن لم يجدها في
نفسه كانت دعواه لها كاذبة وفضيحة فليعرف
قدره ولا يتعد طوره وبالله التوفيق ولما كانت
المعرفة تقتضي ظهور الحق في كل شيء حتى
تراه ظاهراً في كل شيء بين وجه احتجاجه وخفائه
تعالى مع شدة ظهوره ثلاث حكم الحكمة الأولى
شدة القرب ولا شك أن شدة القرب توجب الخفاء
كسواد العين من الإنسان فإن الإنسان لا يدرك
سواد عينه لشدة قربه منه والله تعالى أقرب إليك

والهدف النبيل. ويقول الإمام الغزالي في كتابه
(إحياء علوم الدين/ باب بيان طريق الكشف
الغطاء عن الشكر/ ج3ص186): ((من لم يبلغ إلى
مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسما: قسم لم
يثبتوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب
يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في
كلتا العينين لأنهم نفوا ما هو الثابت تحقياً وهو
القيوم الذي هو القائم بنفسه وقائم على كل نفس
بما كسبت وكل قائم فقائم به، ولم يقتصروا على
هذا حتى أثبتوا أنفسهم، ولو عرفوا لعلموا أنهم
من حيث هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم، وإنما
وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا،
وفرق بين الموجود وبين الموجد، وليس في الوجود
إلا موجود واحد وموجد، فالموجود حق والموجد
باطل من حيث هو هو، والموجود قائم وقيوم
والموجد هالك وفان، وإذا كان كل من عليها فان،
فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام. الفريق
الثاني: ليس بهم عمى ولكن بهم عور، لأنهم
يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا
ينكرونه، والعين الأخرى إن تم عماها لم يبصر
بها فناء غير الموجود الحق؛ فثبت موجوداً آخر
مع الله تعالى)).

ويقول ابن عجيبة في كتابه (إيقاظ الهمم
شرح متن الحكم/ ج1ص30) ((وأهل مقام الفناء
يشهدون الحق قبل شهود الخلق بمعنى أنهم لا
يرون الخلق أصلاً إذ لا ثبوت له عندهم لأنهم
لسكرتهم غائبون عن الوسطة فانون عن الحكمة
غرق في بحر الأنوار مطموس عليهم الآثار وفي
هذا المقام قال بعضهم ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله
قبله وأهل الحجاب من أهل الدليل والبرهان إنما
يشهدون الكون ولا يشهدون المكون لا قبله ولا
بعده إنما يستدلون على وجوده بوجود الكون
وهذا لعامة المسلمين من أهل اليمين قد أعوزهم
أي فاتهم وجود الأنوار ومنعوا منها وحجبت
عنهم شموس المعارف بسحب الآثار بعد طلوعها

يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنا منها
تزايد ريحها فلما دخل البيت الذي فيه المسك
انقطعت رائحته عنه وأنشد بعض العارفين
كم ذا تموه بالشعبين والعلم ... والأمر أوضح
من نار على علم)).

من كل شئ قال تعالى ولقد خلقنا الإنسان ونعلم
ما توسوس نفسه ونحن أقرب إليه من حبل
الوريد فشدة قربه منك موجب لاضمحلالك، قال
في لطائف المنن فعظيم القرب هو الذي غيب عنك
شهود القرب قال الشيخ أبو الحسن حقيقة القرب
أن تغيب في القرب عن القرب لعظيم القرب كمن

الهوامش

- 1- كلامنا: كلام: مبتدأ، وهو مضاف ونا مضاف إليه، مبني على السكون في محل جر، لفظ
خير المبتدأ مفيد نعت للفظ، وليس خبرا ثانيا " كاستقم " إن كان مثالا فهو جار ومجرور
متعلق بمحذوف خير لمبتدأ محذوف، والتقدير: وذلك كاستقم وإن كان من تمام تعريف الكلام
فهو جار ومجرور أيضا متعلق بمحذوف نعت لمفيد " واسم " خبر مقدم " وفعل، ثم حرف "
معطوفان عليه الأول بالواو والثاني بثم (الكلم) مبتدأ مؤخر، وشرح البيت: كلام النحاة هو
اللفظ الموصوف بوصفين أحدهما الإفادة والثاني التركيب المماثل لتركيب استقم، والكلم ثلاثة
أنواع أحدها الاسم وثانيها الفعل وثالثها الحرف، وإنما عطف الفعل على الاسم بالواو لقرب
منزلته منه حيث يدل كل منهما على معنى في نفسه، وعطف الحرف بثم لبعدها رتبته.
- 2- واحده كلمة " مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب " والقول " مبتدأ " عم "
يجوز أن يكون فعلا ماضيا، وعلى هذا يكون فاعله ضميرا مستترا فيه جوازا تقديره هو
يعود إلى القول، والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر المبتدأ، ويجوز أن يكون " عم "
اسم تفضيل - وأصله أعم - حذفت همزته.
- 3- أبو القاسم القشيري- الرسالة القشيرية- ط2-1959- مطبعة مصطفى البابي
الحلي- القاهرة- ص4.

- ❖ الطاعة سيئة السمعة عند عشاق الحرية.
- ❖ الثوري، اللاثوري: شغله الشاغل طاعة الطاغية.
- ❖ بدون تصدير لا يوجد استيراد بل إعانات وصدقات.
- ❖ دعاة شتى لنصرة الظالمين على المظلومين.

أحاديث العقل النقدي.. ادريس طه حسن